"في التسليم للعترة الطاهرة"

الثّنائيات التّضادّية المعنويّة في سيرة السّيّدة الزّهراء عليها السلام "فاطمة الزّهراء– وتر في غمد" لسليمان كتّاني أنموذجًا

Spiritual Contradictory Binaries in Chronicle of Lady Al-Zahra (Fatima Al-Zahra , Watar fi Ghamad, A tendon in a sheath as an Example)

أ. د. فاطمة حسين شحاذي
Prof. Dr. Fatima Hussain Shahadi

لبنان/ الجامعة اللبنانية / كلية الآداب/ قسم اللغة العربية
Lebanon/ Lebanese University / College Arts Department of Arabic Language

fatimachhadi. sc@gmail. com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحْث:

تسعى الدّراسة إلى بيان الثّنائيّات التّضاديّة المعنويّة في سيرة السّيدة فاطمة الزهراءﷺ، كما تمثّلت في كتاب " فاطمة الزّهراء. . وتر في غمد"لسليمان كتّاني، للوقوف على خصائصها الدّلالية والجماليّة والإيحائيّة، وبيان رؤى الكاتب منها.

تكمن جماليّة التّضاد في جمعه بين ضدّين في بنية كلية واحدة، ما يسهم في تعميق البنية الفكريّة الكليّة للنّصّ، وهذا ما يثير، لدى اجتماعها، عنصر الدّهشة، فضلًا عن تحقّق الشعرية القائمة على الأنساق المُضمَرة، على مستوى الإيحاء والصّور واللّغة معًا. . .

اتّخذت هذه الثّنائيّات عدّة تجلّيات، منها: فلسفيّة وجودية، ونفسيّة روحيّة، ودينيّة. . ما أسهم في الإضاءة على أسرار التّضاد المعنوي، بما يحمله من جماليّة فنيّة من جهة، وما يُعبّر عنه من موضوعات ثرّة من جهة ثانية، صوّرت منزلة السّيدة الزاكية.

تكمن أهميّة رصد هذه الثّنائيات المعنويّة في استشفاف العلاقة الضّديّة بين طرفي كلّ ثنائية، وكشف إيحاءاتها التي توارت خلف البنى التّركيبيّة، ما سمح في تأويل ما وراء حقائق القول، وفي استثارة المتلقّي لمحاولة استيعاب دلالة الثّنائيات المعنويّة، وفهمها فهمًا وجوديًا عقليًّا، من هنا، يمكن القول: إنّ الدّلالات الكامنة في الألفاظ، لا يتوقّف بيان رصدها على ما تحمله من معان إيحائيّة فحسب، بل بما تحمله من عِبَر ترصد الوجود الإنساني وتناقضاته.

وتبعًا لذلك، جاءت هذه الدّراسة في محاولة لاستنطاق نصوص كتّاني، الزّاخرة بالإيحاءات الخفيّة، ذات البعد الدّلالي التضادي المشعّ رؤى وفكرًا. من هنا، ارتينا، أن نطبّق المنهج الوصفي التّحليلي، الذي يواشج بين رصد الثّنائيات،

وبيان جماليتها ودلالتها.

وقد اشتملت الدّراسة، بعد التّعريف بالمدوّنة والمؤلّف سليمان كتّاني، على تمهيد و مبحثين، تلتهما خاتمة؛

تناول المبحث الأول، الثّنائية الفلسفيّة(الحياة/ الموت)، في حين تناول المبحث الثاني، الثنائيات النّفسية، مركّزًا على جانبين، هما: (العزّة/ الذّلّة، الأمن/ الخوف).

الكلمات المفتاحية: ثنائيّة، التّضاد، تقابل، سليمان كتّاني، وتر في غمد.

Abstract:

The study is to clarify the dual and spiritual dualities in the chronicle of Lady Fatima ,peace be upon her, as represented in "Fatima al-Zahra , A Tendon in a Sheath" by Suleiman Katani, to trace its semantic, aesthetic and suggestive characteristics and to clarify the visions of the author. The beauty of the contrast lies in combining two opposites in one structure, which contributes to deepening the overall intellectual structure of the text.

These dualities take several manifestations; philosophical, existential, psychological, spiritual, and religious to illuminate the secrets of moral contradiction with its artistic aesthetic elements on one the hand and the profound themes portraying the chaste lady on the other hand.

The importance of observing these moral dualities lies in discerning the antagonistic relationship between the two sides of each dichotomy, and revealing its connotations that lurk behind the structural formation. from here, it can be said: the semantics is inherent in the words, the statement of their observation does not depend only on the suggestive meanings they bear, but also on the lessons they carry of observing human existence and its contradictions. Accordingly, this study came as an attempt to interrogate Kattani's texts replete with hidden revelations and an antagonistic semantic dimension that radiates visions and thought. Thus it is to apply the descriptive-analytical approach to combine the observation of dualities, the statement of their aesthetics and its significance.

The study introduces author Suleiman Kittani in two chapters with a conclusion; The first one discusses the philosophical duality , life-and-death, while the second does psychological dualities focusing on two aspects dignity-humility and security-fear.

Keywords: duality, antonym, correspondence, Suleiman Kattani and tendon in a sheath.

التّعريف بالمُدوّنة[1]:

المُدوّنة من إصدار المُعاونيّة الثّقافيّة للمُجمّع العالمي لأهل البيت عليهم السلام. تتناول سيرة السّيدة الزّهراء عليها السلام بقلم كاتب مسيحي، نسج مُدوّنته بأسلوب فنّي جديد، يختلف عن الأساليب المتّبعة عادة في تقديم السّير الغيريّة، للشّخصيات التاريخيّة والإسلاميّة، إذ ابتعد **" عن أسلوب السّرد التّاريخي " العنعنة" قدر الإمكان. . وقد قدّم لكتابه هذا سماحة السّيد موسى الصدر[2] بما يتناسب وأهميّة موضوعه ذاكرًا شيئًا مُختصرًا عن حياة الزّهراء عليها السلام فكفانا مؤونة البحث من هذا الجانب"**[3].

وممّا قاله سماحة السيد، في مقدّمته: **" فاطمة الزّهراء، هذه مثال المرأة التي يُريدها الله، وقطعة من الإسلام المجسّد في محمّد، وقدوة في حياتها للمرأة المسلمة، وللإنسان المسلم في كلّ زمان ومكان.**

إنّ معرفة فاطمة فصل من كتاب الرّسالة الإلهيّة، وإن دراسة حياتها مُحاولة لفقه الإسلام وذخيرة قيّمة للإنسان المعاصر"[4].

جاء الكتاب استجابة لطلب مكتبة العلمين الطّوسي وبحر العلوم العامّة في النجف الأشرف، في تأليف مجموعة بحوث تتناول سيرة السّيدة فاطمة عليها السلام؛ وقد نال هذا الكتاب الجائزة الأولى من هيئة تحكيم، ترأّسها السّيد حسين محمد تقيّ بحر العلوم، بعدّه أفضل بحث مُقدّم تناول السّيدة الزّهراء.

وللعنوان دلالته بحسب الكتّاني، ف" وتر في غمد"، هو كناية عن وقوف الزّهراء في وجه الظّلم الذي حاق بأمير المؤمنين عليه السلام، بمعنى **" الغضب أو الشّجاعة التي قامت بتحريك سيف المبارزة، والتي أصبحت باعثًا ووقودًا للثّورة ضدّ الحكومة آنذاك، وما تلا ذلك من أحداث سبرها التّاريخ"**[5].

وممّا يُميّز الكتاب، الأسلوب الأدبيّ الأنيق الذي جسّد سيرة الزّهراء بما يليق بها وبمنزلتها العظيمة، فضلًا عن متانة المحتوى الذي يدعو القارئ إلى التأمّل مزهوًا بجمال تعبيره وغنى مضمونه، ناهيك عن مزجه بين مُقتضى العقل والفكر، ومقتضى الوجدان والعاطفة، إذ أسبغ المؤلّف الكثير من ذاتيّته وهمومه الإنسانيّة، وهو يطبع الظّروف التي عاشتها السّيدة فاطمة عليها السلام.

ما يعني أنّ الكتاب، زواج بين عدّة تقابلات منحته خصوصيّته، إذ تراوح بين: الذّاتي/ الموضوعي، الحقيقة/ الخيال، العقل/ العاطفة، الماضي/ الحاضر.

ومن جميل ما وصفه الكتّاني[٦]، في كتابه بحق الزّهراء، تحت عنوان " إلى القارئ"، قوله: **" إنّ فاطمة الزهراء هي أجلّ من أن تشير إليها الأسانيد، وأكرم من أن تدلّ عليها السّرود، يكفيها إطارًا كونها ابنة محمّد، وزوجة عليّ، وأمّ الحسن والحسين، وسيّدة نساء العالمين"**[٧].

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا الكتاب الواقع في مئتين وأربع وتسعين صفحةً، قد طُبع عدّة طبعات في بيروت والنّجف الأشرف، وتُرجم إلى اللّغة الفارسيّة، ونُشر في مشهد المُقدّسة

التّمهيد: الثّنائيّة والتّضاد والمعنويّة (لغةً واصطلاحًا)

الثنائية: لغة، ما كان ذا شقيّن[٨]، وهو يعني " تكرار الشّيء مرّتين، أو جعله شيئيْن متواليين أو مُتباينين. . "[٩].

أمّا اصطلاحًا، فسنتناولها بالتّعريف النّقدي، إذ إنّ الثنائية، تشترط علاقة قائمة بين طرفين، بينهما تضاد أو توافق؛ والعلاقات الضّديّة تقوم على علاقات تقابليّة ثنائيّة ترتكز على التّضاد بين مدلولات طرفيها[١٠].

والفكر يقوم، في نشاطه، أساسًا على الثّنائيات الضّدية، " وحوار الحدود المتقابلة والمتباينة. . تجتمع في النفس البشرية. . ثنائيات ضديّة يمكن عدّها كامنة في أغوار النفس الإنسانية. . . ويمكن القول: إنّ مظاهر الحياة كلّها هي نتيجة ذلك التجاذب بين قطبي هذه الثنائية"[١١].

التّضاد: لغة، ضدّ الشّيء خلافه، ويُقال: ضادّه مضادة، إذا خالفه، فضد الشّيء ضديده، والضدّ أيضًا هو الكفء والنّظير[١٢]، والمتضادان، هما اللّذان لا يجتمعان مثل الغنى والفقر، الفرح والحزن. . والجمع أضداد، وقد ورد لفظ " التّضاد" في القرآن الكريم، إذ قال الله تعالى: ﴿ كَلّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾[١٣].

التّضاد: اصطلاحًا، له عدّة تعريفات ومُسميّات في الأدب العربي القديم والحديث، فقد عرّفه القيرواني (٤٦٣هـ) بأنّه يقوم على الجمع بين الضّدين في الكلام[١٤]، في حين عدّه السّيوطي (٩١١هـ) بأنه " نوع من أنواع الاشتراك اللفظي"[١٥]، مع التأكيد على اختلاف اللفظين واختلاف معنيهما[١٦].

حظي المصطلح بالدراسة والتمحيص في مجال النّقد والبلاغة، وقد عُبّر عنه بمسمّيات كثيرة، منها: الطّباق، والمُقابلة، والتّكافؤ، والمُطابقة، والتّوازن. . . إلّا أنّ خيطًا رفيعًا يُميّز بين المصطلحات التي تتّفق حينًا وتختلف حينًا آخر؛ ونقدّم هذا الشرح التّفصيلي لبيان الفرق بين بعض منها، ومهم إيضاحها للقارئ، منعًا للالتباس بينها.

فالأضداد: هي التي تقع على الشّيء وضده في المعنى (الضّد: أي المخالف، نحو: السخاء والبخل، الإيمان والكفر. .)، وهي أشمل من الطباق، لأن الطباق هو أن يُؤتى بالشّيء وضده في الكلام؛ الطّباق، هو من المحسنات البديعيّة، ويعني مقابلة الشّيء بضده، مثال: صغير/ كبير، فوق/ تحت، يضحك/ يبكي. .

إذًا، التّضاد أشمل منه لأنّه يدلّ على الخلاف في المعنى، وأكثر ما يُوظّف في السّياقات الهادفة إلى تعرية الحقائق وكشفها، وذلك لبعد الهوّة في المعنى بين نقيضين مُعيّنين.

وذهب فريق إلى تسمية التّضاد **بالمقابلة**. لكن قد يكون التقابل بالأضداد وبغير الأضداد.

المقابلة، تدلّ على مُقابلة الشّيء بالشيء، وهي تعني الجمع بين مُتضادين مع مراعاة التقابل، مثال: يحب الخير، ويكره الشّر.

والفرق بين الطّباق والمقابلة، هو أن المُقابلة تقوم على الاتيان بمعنيين مُتوافقين أو معان متوافقة ثمّ بما يُقابلها على التّرتيب. . في حين أنّ الطّباق لا يتحقّق إلا في التضاد.

من أمثلة الطّباق قوله تعالى: ﴿وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا﴾[١٧].

ومن أمثلة المقابلة قوله تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئًا وهو خير لكم وعسى أن تحبّوا شيئًا وهو شرّ لكم﴾[١٨].

وقد حظي التضاد باهتمام النقد العربي الحديث، ونذكر من هؤلاء النّقاد الحداثويّين على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور إبراهيم أنيس، الذي رأى أنّ التّضاد يرتبط بالعمل الذهني لاستنتاج المعنى، وما أن يُذكر معنى من المعاني يدعو مباشرة إلى التفكير بضدّه، ما يعني أن **المعنى أساس التضاد**، وجماله أنّه يُفهم من طريق التّلميح والإيحاء[١٩].

أمّا النّاقد كمال أبو ديب، فقد رأى أنّ التّضاد ". . يُمثّل. . مسافة التوتر. . جميع أشكال المغايرة والتمايز بين الأشياء في اللّغة وفي الوجود"[٢٠]، وقد تحوّل إلى مُكوّن أساسي ومهم في بينة النّص الحديث بغية توليد دلالات تتّصف بالكثافة والقوّة تمنحان النّص تمايزه وسحره[٢١].

إن لجوء الكاتب إلى التّضاد يهدف إلى ". . إقامة توازن نفسي على أن يتضمن التّوازن حلقات الصّراع، بل إن اصطدام الوعي مع نهج الواقع هو ما يجعل إيراد التّضاد واقعًا مطلوبًا، وهذه العلاقة إنّما تكشف طبيعة مُتطلّبات الوعي، ومآلات الفكر المتوقّد. . لكشف تناقضات الواقع نفسه"[٢٢].

أما **المعنويّة**، فهي **لغة**، خلاف المادي، وخلاف الذّاتي. ومعنويّ منسوب إلى المعنى، أي مُجرّد وغير مادّي[٢٣].

أمّا اصطلاحًا، فهي كلّ ما يتصلّ بالذّهن والتّفكير مثل فكرة الحق، والموت. . و" للمعنى قوّة جاذبة تستقطب من حولها لا على أساس القول المكتوب والمنطوق، وإنّما من حيث الصّعقة الفكريّة التي توقظ القارئ وتشدّه ذهنيًا في ضوء إيحاءات وتأمّلات تفتح مخيّلته، وتضعه أمام رُؤى وتصوّرات، تُفسّر الحقيقة المعنويّة المُرادة. . "[٢٤].

المبحث الأوّل: الثّنائية الفلسفيّة (الحياة/ الموت)

حظيت ثنائيّة (الحياة والموت) باهتمام كتّاني، وقد سلّط الضّوء عليها، بما تحمله من فلسفة عميقة، يشعر المتلقّي إزاءها وكأنّه يجوب معه في فلسفة الوجود والعدم.

ففي مقابل الحياة، يظهر الموت بعدّه المصير المحتوم للإنسان؛ من هنا، فإنّ فكرة الفناء شكّلت هاجسًا كبيرًا للإنسان؛ وإذا كانت الحياة محطّة الملذّات والمنافع والمتاع، فإنّ الموت يُمسك فكر الإنسان كالظّلّ المُرافق له، وهنا، تحضر معاني: الخوف والرّهبة والتّوجّس من العقاب المُنتظر.

ولا عجب في ذلك، فقد فطر الله تعالى الإنسان على التّمسك بالحياة والتوجّس من الموت؛ ولأنّ الموت لا بدّ واقع بوصفه حقيقةً، فقد رافق المرء دائمًا، التّفكّر بالموت ومحاولة البحث عن السرّ الوجودي.

إنَّ التّأمل في ثنائيّة (الحياة والموت) أمر قديم، وقد أورث لغزها الإنسان حيرة كبيرة، ما دفعه للشّعور بالخوف ممّا ينتظره بعد مغادرته دار الدنيا، وانتقاله إلى عالم مجهول، لا يدرك كنهه سوى ربّ العباد، لذا قيل: إنّ " من. . الثنائيات التي تُؤكد هشاشة الإنسان أم سطوة الزمن المبدّل المغير، الحياة والموت. . "[٢٥]، وقد قال عزّ وجلّ: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[٢٦].

جسّد كتاني، في كتابه، اللّحظات الصّعبة التي عاشتها السّيدة زهراء ﷺ وهي تُودّع والدها النّبي المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلّم)، وهو يفترش ضريحه الشّريف، موظّفًا بذلك ثنائيّة: الحياة/ الموت، وهو القائل:

" أيّة دمعة ليس لها أن تحرق مقلتيك، وأنت فوق ضريح ثوى فيه مُحمل الكف، وحنوة القلب، ورنوة العين، وهلّة الجبين، ودفقة المبسم، وهالة كالديمة موصولة العبق بغار حراء، ومسحة كالنّور فيها كلّ العزاء. . وذاب حبر الوصية يا أنوق. . وبقيت على الخط الكريم، يا عديلة مريم. . يا قيتارة النبي. . . يا ثورة اللحد. . . ويا وترا في غمد. . . "[٢٧].

تجسّد حقل كلّ من الموت والحياة بألفاظ إيحائيّة دالة عليهما، ففي **حقل الموت**، نقرأ: " دمعة، ضريح، العزاء، الوصية، اللحد"، أمّا في **حقل الحياة**، فقد حضرت الكلمات والعبارات الآتية: " مخمل الكف، حنوة القلب، رنوة العين، هالة الجبين، دفقة المبسم، هالة كالديمة (أي المطر المتساقط في سكون)، مسحة كالنّور. . ".

والكاتب بذلك، انطلق من الثّنائية ليؤدي غرضين:

الأوّل: وصف جمال النبيّ محمّد ﷺ؛ راسمًا أبهى لوحة من لوحات جمال النبيّ خَلقًا وخُلقًا؛ موظّفًا التّشبيه تارة: "وهالة كالدّيمة، ومسحة كالنور"، والكناية

تارة أخرى: " مخمل القلب"، ما منح كلامه قوّة وجمالًا، إذ عبّر كتاني عن انفعاله بأسلوب إيحائي بلاغيّ.

والثّاني: تصوير الوجع النفسي الذي عاشته الزهراء وهي تتكبد لحظات الفراق، مُعبّرًا عنه بقوله: "أية دمعة ليس لها أن تحرق مقلتيك"، ومظهرًا أيضًا، مدى عشق النبي لابنته، معبّرًا عن ذلك بأسلوب التشخيص بقوله: " يا قيتارة النبي"، ولا شك أنّ استحضار " القيتارة" فيه تلميح إلى ما تشير إليه من رمزية، فهي تحمل دلالة الحياة، والحركة، والبهجة، والفرح. .

وفي هذا الكلام تتعمق الصّور المكثّفة، لتتسرّب إلى ما وراء البنى التركيبية، مُعبّرة عن طبيعة العلاقة التي كانت تربط الزهراء بوالدها، فهي الحياة بالنسبة إليه، وهو الحياة بالنسبة إليها، وبفراقهما، غدت الحياة قاتمة، لا بهجة فيها ولا سرور.

من هنا، عبّر الكاتب عن لسان الزهراء، ولهج بلواعجها، فتراءى إليه لسان حالها وهي تودّع أباها قائلة:

" أبتاه! يا أيّها الهابط الجاثم، ما هكذا تجثم الجبال على الشّواطئ.

أيها الصّامت الساكن، ما هكذا تسكن الرّياح مع السّحب. . وما كانت فاطمة لترتوي. . فالأب الذي كان يملأ عينيها ضياء أغمض عينيه على هباء، واليد التي كانت تلفّ وجودها بالحنان يبست على ملامسها الخمالة"[٢٨].

تتكثّف جماليّة الصّور البيانية والمحسّنات الإبداعية لتمنح الكلام رونقًا وجمالًا، مجسّدة بذلك ثنائية الموت والحياة.

ومن الألفاظ الدالة على **الموت**: " الهابط الجاثم، تجثم، الصّامت الساكن،

أغمض عينيه، اليد. . يبست"، أما الألفاظ والتعابير الدالة على **الحياة**: " الرّياح، السّحب، ترتوي، يملأ عينيها ضياء. . ".

جاءت الصّور، هنا، ممزوجة بصدق الشعور ودقة التعبير، وقد جسّد سليمان منها عمق مأساة الزهراء(سلام الله عليها) بعد رحيل النبي المختار، موظفًا بذلك الطبيعة (الجبال، الشواطئ، الرياح، السحب، ضياء. .) التي غدت عناصرها رموزًا استعملها الكاتب، ليمنح كلامه قوّة الارتباط والتفاعل بين الواقع المحسوس، والخيال، وليعبّر عن مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته.

يرسم كتّاني صورة الحياة، في حياة الرسول وبعد رحيله، إذ غدت قاتمةً موسومةً بالتّناقض واللامعقول والسوداويّة، وكأن دار الدنيا بذاتها، فقدت صوابها حزنًا على فراقه!

يحضر التّشخيص بقوله: " يا أيّها الهابط"، مقترنا بالتّشبيه التّمثيلي الصّوري، في قوله: " ما هكذا تجثم الجبال على الشّواطئ"، وما الجبال سوى كناية عن محمد نفسه، الرّجل العظيم بشموخه وعليائه!

وهكذا يتحوّل التّشبيه وسيلة لإيضاح المعنى وتقريب الصّورة، ما يكسبه تأكيدًا على عظيم الوجع والشكوى، لما أصاب الدنيا من تحوّل في كيان وجودها؛ والكاتب يتحدّث بلسان الابنة المقهورة والموجوعة، التي ترسل كلامًا يحمل العتاب للوعة الفراق، من هنا جاءت الصّورة التّشخيصية: " ما هكذا تسكن الرّياح مع السّحب"، لتندب عطشها، وأساها وشوقها لحنوّه ورأفته عليها!

وعبّر الكاتب عن وجع الزّهراء(سلام الله عليها) برحيل الأب العظيم النبيّ محمّدﷺباحتشاد لغوي، حمل التّناقض والتقابل في المعنى، ومن أمثلة ذلك: " يملأ

عينيها ضياء/ أغمض عينيه"، " اليد التي كانت تلفّ وجودها (رمز الحياة)/ يبست(رمز الموت)"؛ " والرّمز الحي لا يخلو من خفاء وإن حاول صاحبه أن يشرحه، فالقارئ قد يفهم المعاني لكنه لا يدرك جميع أصدائها وإشعاعاتها" [٢٩].

بهذا التنوّع الأسلوبيّ، فضلًا عن التناوب في استعمال الضمائر بين المخاطب تارة " أبتاه"، والغائب " ما كانت فاطمة لترتوي"، ملأ الكاتب أرجاء النص بشجون الزهراء(سلام الله عليها) الغاشية وجعًا لفقد النبي(صلى الله عليه وآله وسلّم)، وهذا ما كشف عن مكانته العظيمة في ذات الزهراء المنكسرة.

ومن جهة ثانية، صوّر كتّاني بكلمات دامية فجيعة استشهاد الزهراءﷺ، وقد حرص على إبراز التوازن الإيقاعي، الممزوج بالقهر النفسي، ما حقّق تناغمًا بين ذات الكاتب المتألّمة، والألفاظ الموحية جرسًا ومعنى، إذ قال:

". . في موتها ودفنها تقمّصها الزمن، وانطوت بها الخواطر كالأمل بالانبعاث. . وهكذا أصبحت مع التاريخ إطلالة شوق وقدسيّة إطلاب، وكلّما جار عليها الاضطهاد زاد بروز اسمها لمعانًا" [٣٠].

استهلّ النّصّ بلفظٍ "في موتها"، مُقترنًا بلفظ "الانبعاث"، مُجسّدًا بذلك ثنائيّة التّضاد الموت/ الحياة، مُتّخذًا كاتبه من الصّور نهجًا بلاغيًا بمعانيها المُوحية، وتعابيرها المكثّفة، لتقريب المعنى، بما يحمله من انفعالات مُتباينة.

وهكذا، يتحوّل موت الزّهراء، وسرّ دفنها، إلى سرّ من أسرار الوجود، وهذا ما يكشف البنية الكلّية للنّص، القائمة على إبراز المظلوميّة التي عاشتها السيدة فاطمة ﷺ، وارتباط هذه المظلوميّة بسرّ دفنها، الذي سيبقى أبد الدّهر، لغزًا يختبئ وراء صفحات التّاريخ.

المبحث الثّاني: الثّنائيات النّفسيّة

عبّر كتاني عن الثنائيات النفسيّة، التي يتعاقب فيها ما يمنح الإنسان الإحساس المضاد بالأمن والخوف، والفرح والحزن، والعزّة والذلة، وغيرها. . وهنا، يبرز أمامنا ما يُسمّى بـ "الفضاء الضّدّي المعنوي، وهو مصطلح نريد به أن رؤية (الكاتب) لحظة كتابة النّص، وظلالها تكون واقعة تحت تأثير (مؤثّر ضدّي) بمعنى أن الأضداد ستهيمن (عليه)، أو تغلّف فضاءه"[٣١].

أوّلًا: العزّة/ الذّلة

للفظتي العزّ والذّل عدّة معان، سنُحاول تبيّنها بالوقوف على معنى كلّ منهما لغة واصطلاحًا. العزّة تعني الشدّة والغلبة والقدر والقوّة، كما تعني الذلة القلّة والنّدرة[٣٢]. وجذر الكلمة: عزز، وجاء معناها في لسان العرب، بمعنى: كلّ ما هو خلاف الذّل[٣٣]. . وقيل: تعزّز الرجل: أي أنّه صار عزيزًا[٣٤].

والعزيز هي صفة من صفات الله تعالى، ومن أسمائه الحسنى؛ فهو الغالب أي القويّ الجبّار؛ وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم، حاملة معاني العظمة، ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين﴾[٣٥].

أما كلمة الذّل: فتعني: " الخضوع، والاستكانة"[٣٦]، و" الذّل نقيض العزّ"، ويُقال: ذلّ، يُذلّ، ذلّة ومذلّة وذلالة، هان فهو ذليل"[٣٧].

وقد قال تعالى في مُحكم قرآنه: ﴿ولقد نَصَركُم الله ببدر وأنتم أذلّة﴾[٣٨]، وقوله تعالى: ﴿واخْفُض لهما جناح الذّلّة من الرّحمة﴾[٣٩]. وقد عبّرت هاتان الآيتان عن القلّة تارة، والتّواضع تارة أخرى.

أمّا اصطلاحًا، فقد عُرّفت العزّة بالآتي: " العزّة، حالة مانعة للإنسان من أن يغلب"[٤٠]، أما الذلّ اصطلاحًا، فيعني". . ما كان عن تصعّب، والذّليل في النّاس هو الفقير الخاضع المهان"[٤١]. كما إنّ " التناقض بين اليأس والرجاء، العذاب والفرح، الضّعف والقوة، هو ما يُشكّل النفس المفجوعة. . هذا التناقض شهادة على الحياة لا معها"[٤٢]. .

والمتصفّح لكتاب سليمان، يجده غنيًا بهذه الثنائية، التي عكست صورة صادقة عن حياة الصديقة الطاهرة، وما عايشته من ظروف صعبة لكنّها مكلّلة بالإيمان والتقوى والصبر.

ومن أمثلة ما أورده كتّاني، في حديثه عن بلاغة الزّهراء، قوله:

" أي شيء نفر بفاطمة إلى ساحة المسجد؟! من قال: إنّ البطولات وقف على الرّجال؟! من قال: إنّ النّفوس الكبيرة تعيش بغير شموخ؟! من قال" إنّ الشّعور بالحقّ يرضى بالمهانة؟! كلّ ذلك وجد تطبيقه في الزّهراء وهي تمشي متلفّحة بوشاحها الأسود نحو باحة المسجد، بقدّ نحيل جارت عليه مبراة الألم. . أيّ ألم؟!. . ما جاءت لتقول للنّاس: عزّوني، بل جاءت إلى الحاكم لتريه لون الشّعاع في الشّمس في التعبير عن الحق، ولتسمعه نبرة في خفق العواصف في إثبات الحق. . لقد قالت له المعنى الكثير، ولكنّ البليغ الذي سمعه هو الذي كان مسحوقًا بصمت"[٤٣].

جسّد النّص بلاغة الزهراء وهي واقفة في باحة المسجد، تخطب أمام الحاكم، خطبتها المشهورة، مطالبة بحقّها الذي سُلب منها، وقد امتازت هذه الخطبة " بعظيم مقصدها وبديع معانيها والتّأنق في مبناها وبعيد مرماها"[٤٤].

وقد أقرن الكاتب معاني العزّة والعظمة بالزّهراء، قولًا وفعلًا؛ في حين أقرن معاني الذّلة بالحاكم وقد تجسّد ذلك بقوله: " كان مسحوقًا بصمت". فكلّ من " السّحق"

و " الصّمت" يشير إلى الشّعور بالضّعف والمذلة، وقد قال تعالى: ﴿فتخطفه الطّير أو تهوي به الرّيح في مكان سحيق﴾[٤٥]، **وقال**: ﴿سحقًا لأصحاب السّعير﴾[٤٦]، وفي هاتين الآيتين، دلّ لفظ " السّحق" على معنيين، الأوّل: الدّرك الأسفل، والثّاني: الدّعاء بالمحق والهلاك.

وهكذا، قابل كتّابي بين ما جسّدته الزّهراء من عظمة وعلوّ، في قوله: " البطولات، النّفوس الكبيرة، شموخ، تريه لون الشّعاع في الشّمس، تسمعه نبرة في خفق العواصف. . "، وما تركته من عظيم الأثر لدى الحاكم الذي ذُهل حدّ الصّمت.

مُقدمًا بذلك ما يُسمّى بخطاب الضّدّ، " والسّيدة الزهراء (ﷺ) واجهت الخطاب المهيمن المستلب للخلافة والمخالف للوصيّة النبويّة بالخطبة الفدكيّة. . فحملت راية الجهاد بالكلمة، ضدّ الخطاب السّلطوي. . "[٤٧].

وقد استعمل سليمان أسلوبي الإثبات والنّفي، مُجسّدًا ثنائيّة التّضاد (العزّة والذلّة) في موقف الزّهراءﷺ:

" ما جاءت لتقول: عزّوني"/ " بل جاءت. . لتريه. . لتسمعه. . "، وهي على الرّغم ممّا كانت تحمله من أليم دفين خفي، رفضت الخضوع والسّكوت عن حقّها، الواضح حدّ نور الشّمس، بل وقفت بكلّ صلابة وشجاعة، وصدحت بصوت الحقّ الذي شبّهه الكاتب بـ" خفق العواصف"، في وجه الحاكم.

وبين " خفق العواصف" و"مسحوقًا بصمت"، تتجلّى أبرع صور التّقابل، لتُجسّد صورتين أو هيئتين، تصبّان في فلك التّضاد بين: الحقّ والباطل، النّور والظّلام، القوّة والضّعف، النّصر والهزيمة. . .

وعن خطابها المشهور، يقول:

" إن خطاب فاطمة بكلماته لم يكن على كلّ حال كثيرًا عليها، بل إنّ العكس يفرض، فهو بالنّسبة قليل وضئيل، أكان تعبيرًا عن ألمها بفقدان أبيها، أم كان احتجاجًا عن حرمانها من إرثها. إنّ العظيم منه والجليل هو الذي كان يتوارى خلف الحروف، هو الشّموخ الذي لا يُمكن للحروف أن يتلفّط به، هو عزّة النفس، هو الشّعور بالكبر، هو تلك الأنفة التي منها تُصاغ رفعة الجبين"[٤٨].

عبّر الكاتب، في السّطر الأخير، عن شعور الزّهراءﷺ بالشّموخ والكِبَر، وهي تتلو كلماتها الممزوجة بحرقتيْن: حرقة فقدانها أبيها، وحرقة حرمانها من إرثها.

ولا شكّ أن جليل ما تلفّظت به، كان مُتواريًا ومختبئًا خلف المنطوق من خطبتها، و" مواقف العزّ التي أطلقتها من سر الإيمان واليقين بالله الأحد المقتدر الذي منه يكون كلّ الخير. . وعنه لا يصدر إلّا الجميل"[٤٩].

وإذا أردنا أن نُبيّن حالة الذّل المقابلة، فيُمكن القول: إنّ الحاضر كشف الغائب بدلالات مقلوبة المضمون، فإذا كانت الزّهراءﷺ قد وقفت موقفًا يحمل: **"عزّة النفس" و " الشّعور بالكِبر. . والأنفة" وب "رفعة الجبين"**، فلا شكّ أن من وقفت في وجهه متحدّية جبروته، تحوّل أمام صلابة موقفها إلى كائن: " ذليل النّفس" يشعر " بالمهانة والإذلال" و قد كان: مُتّضع الجبين.

وفاطمة(سلام الله عليها) أحاطتها العزّة في نسبها ومكانتها القدسيّة، ونستشهد هنا، بما قاله " آية الشيخ وحيد الخراساني في كتابه " المصيبة العظمى شهادة الصّديقة الكبرى": هي بضعة الحقيقة المحمّدية التي جذبت بحقيقتها شديد القوى من الأفق الأعلى، وقهرت بقدرتها روح الأمين من سدرة المنتهى. . "[٥٠].

يصف سليمان، الظّروف النّفسية الصّعبة التي أحاطت بالسّيدة الزهراء(عليها السلام)؛ فقد عايشت مُجتمعًا يسوده الكفر والانحراف والجاهليّة؛ وكان عليها أن تقف جنبًا إلى جنب في كفاح والدها وزوجها وهما يؤدّيان رسالة الإصلاح والتّغيير، فقد عانت من الظّلم الاجتماعي بمخالفة أوامر رسول الله(صلى الله عليه وآله) بعد رحليه، ونكث وصيته، فضلًا عن التزامها الصّبر مؤازرة لزوجها الإمام علي(عليه السلام)؛ إذ سلبت الخلافة منه، ونكث الآخرون بوصية النبيّ محمّد(صلى الله عليه وآله) الذي نصّب وصيّه عليًا(سلام الله عليه) وليًا من بعده.

يقول كتّاني:

" عاشت فاطمة تحت ظلّين: ظل أبيها، وظل حليلها، وعانقت ريحانتين: الحسن، والحسين، ذرية لرجلين: نبي، وإمام، وعانقت رهافتين: رهافة الفكر، ورهافة الحس، واختبرت عصرين: عصر الجاهلية، وعصر الانبعاث. . وصهرت بصهرين: مصهر الفقدان، ومصهر الحرمان. . . بهذه الازدواجية عاشت فاطمة الزهراء(سلام الله عليها)، صابرة على مكاره الدهر؛ اقتناعًا منها بصدق قضية يلزمها الكثير من التجسيد. . وقد جسدتها. . بحبل طويل من القناعة، وبسلسة طويلة من العزم والإقدام والبطولات"[٥١].

يحمل هذا النص السّردي، عدة تقابلات، وقد جسّد فيه الكاتب التضاد في غير موضع، إذ برع في إظهار الثنائيات التضادية، في أثناء سرد ظروف نشأة الزهراء(سلام الله عليها) منذ بداية النص حتى آخره، وقد تجلّت فيه ظاهرتان: العزّة والذلة، تارة بصورة ظاهرة، وتارة بصورة مُضمرة، لتتوضّحا معًا على شكل صورتين متقابلتين توضحان العزّة لأهل البيت(عليهم السلام) والذلة لأعدائهم.

أمّا العزةّ فقد تمثّلت في السّطرين الأوّلين، إذ ترعرت الزّهراء(سلام الله عليها) في

كنف والدها وحنانه، ثمّ رُزقت بسيدي أهل الجنة، الحسن والحسين ﷺ، واختبرت تحوّل المجتمع ونهضته بحكمة والدها، الذي أخرج الناس من ظلمات الجاهلية وأنار حياتهم بنور الإسلام.

وهذا كلّه، صبغ حياة فاطمة بالشّرف والعلوّ، وهي مكلّلة ببيت نبوي، وعناية إمامية.

وفي المُقابل، فقد تمثّل المعنى الدّال على الذّلّة حين ارتسمت على الأعداء، وما قوله: " **بحبل طويل من القناعة** "، إلا لأنّه يقصد المعنى الإيحائي البعيد، الذي يكشف أن ظروف الحياة القاسية فرضت على السيدة الزهراء(سلام الله عليها) أن تسكت مع عظيم ألمها وجورها، من هنا قوله: " **صابرة على مكاره الدهر؛ اقتناعًا منها بصدق قضية**. . ".

ولا شك أن موقفها هذا، يُكرّس حميد صفاتها في التّصبر النفسي على عظيم مصائبها؛ وهي في عزّتها شامخة صابرة مُحتسبة؛ وهذا بدوره يُعبّر عن عمق الشعور بالاغتراب النفسي الذي أنزل عليها أهل زمانها؛ فالمكانة العظيمة التي أحاطت بالزهراء تشريفًا بمقامها الإلهي، فهي ابنة نبي، وزوجة إمام، وسيدة نساء العالمين.

وهكذا، تترسّخ بنية جدليّة كلية، تبيّن صراع الزّهراء الوجودي، في زمن تطاول فيه الضعيف على القوي.

ثانيًا: الأمن/ الخوف

الأمن، لغة، ضدّ الخوف[٥٢]، وضد الأمان والأنس، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[٥٣].

والأمن باعث للاطمئنان، أمّا الخوف فهو باعث لمكروه والشّعور بالتوجّس من حصول ما يكره.

أضاء كتاني، على قضية فدك، وصوّر ما عاشته الزّهراء من مآس، بعد استلاب حقها، وكأنّ رحيل النّبي محمدﷺ شكّل محطّةً مهمةً زعزع أمنها، ومنحها الخوف في عالم فقدت فيه الأمان وراحة البال.

وصف كتاني مطالبة الزهراء بأرضها المُغتصبة منها، مُجسّدا الثنائية التضادية (الخوف/ الأمن)، وممّا قال:

إنّ شموخ الزهراء ". . **هو انعكاس تلك المتانة في النفس تتصلب بالشعور بالحق وصدق الوجدان. قضية " فدك" إرثها من أبيها، بلورت فيها هذا الشّموخ بكلّ أنواعه، وما كانت مطالبتها بالإرث إلا تعبيرًا عن هذا الشّموخ بكل أنواعه، وما كانت مُطالبتها بالإرث إلا تعبيرًا عن هذا الشّموخ في تفلّته من عنصر الخوف والاستكانة**"[٥٤].

صرّح سليمان عن " الخوف" بلفظه المباشر، في حين عبّر عن "الأمن" بألفاظ إيحائية، ومنها:

" المتانة في النّفس، تتصلّب بالشّعور بالحق، الشّموخ".

إن مصادرة أرض فدك، آذّى سيدتنا الزّهراء(سلام الله عليها)، وفي ذلك تصوير نفسي عن فقدانها إحساسها بالأمن؛ إذ إنّ فاطمةعليها السلام التي عاشت الفداء والتضحية والعزوف عن الدنيا، وتحمّل الحرمان والمشاق، من أجل ترويج دين الله، ونشر كلمة التوحيد، ورفع راية العدالة، والرضا بكل شيء من أجل نجاة البشرية وهداية الإنسانية، بأبويها وأهل بيته، كانت تتوقّع من الخلف الذين خلفوا أباها أن يسيروا على هداه. . "[٥٥] إلا أنّها خُذلت.

ومن المشاهد التي ذكرها سليمان، من سيرة حياة الزّهراء، تعاقب الإحساس بالخوف وعدم الأمان، في لحظات أليمة مرّت عليها ما جسّد ثنائية (الخوف/ الأمن)، إذ قال:

" ما انبلج صبح أشدّ كلوحًا من ليل كهذا الصّباح الحزين يمرُّ على السيدة فاطمة الزهراء. . . وكانت نفسها تفيض شعاعًا وهي تطوف حول الفراش البارد. . وكانت مُناجاتها تطوف صعودًا وهبوطًا من قلبها إلى لسانها. . كأنّها. . الشّوق المحرور. . أبتاه! أطعمتني من قلبك وسقيتني من عينك، لهذا أنا اليوم أتضوّر جوعًا إليك، وأتقلّى ظمأ إلى عطفك"[٥٦].

نتلمّس، في النّص السّابق، عنصر الخوف، وقد تبيّن إيحاءً بالمدلولات الآتية:

أوّلًا: تمثّل إيحاءً معنويًّا من خلال المعاني الدّالة على الخوف: " صباح حزين يمرُّ على فاطمة الزهراء"، كما تمثّل ثانيًا على سبيل النّزوع نحو الانزياح الدّلالي الأسلوبي، كما جاء على لسان الزّهراء: " أبتاه! أطعمتني من قلبك وسقيتني من عينك، لهذا أنا اليوم أتضوّر جوعًا إليك، وأتقلّى ظمأ إلى عطفك"؛ فالنّداء، هنا، جاء على سبيل التأوّه والشّكوى والنّدبة، كما أنّ إيحاء التضوّر جوعًا، والشعور بالظّمأ العاطفي، يحيلان إلى حالة نفسية يعيش صاحبها ألم الفقد والتخوف من وقوع ما يكره بعد رحيل الأب العظيم. بيد أن الكاتب عبّر عن هذين المعنيين بصرفهما عن مدلوليهما الحقيقي إلى مدلوليهما المجازي، من طريق الانزياح الأسلوبي؛ و" صحيح أن التعبير الفني، كلّ تعبير فني، هو في حقيقته، وبشكل عام، تعبير منزاح، مفارق لعالم الواقع المادي، لكنّه، في هذا الانزياح، يُمارس فعل الإحالة على هذا الواقع بوسائله الفنية الخاصة"[٥٧]، وهنا، فـ" المجاز هو ما يجعل النص متّصفًا بالأدبيّة أو الشّعرية، وهي

الخصائص اللغويّة النوعيّة التي تجعل من البنية اللغويّة بنية أدبيّة تنطق بدلالة"[٥٨].

والسيدة الزّهراء(سلام الله عليها) هنا، تذوّقت مرارة خوفها، وحجمه بحجم الخسارة الكبيرة التي مُنيت بها، وما شعورها بالظّمأ والجوع تعبير عن نقص جسديّ للطّعام والشراب، إنّما جاءا على سبيل المجاز والحضور الإيحائيّ.

ولا شكّ أنّ المقصديّة الدّلاليّة تأكّدت من " ملامحها الشّعرية التي تتضاعف فيها إشارات التمرّد والانفتاح الدّلالي اللامحدود في إيحاءات عميقة، على أن ثمة ملامح أخرى تشي بتعدّدية المعاني، وهي تؤطر تفرّعاتها الاشتباكيّة. . "[٥٩]، كما أنّ لغة الكاتب الشّعرية تقوم على " الاستخدام الفنّي للطّاقات الحسّية والعقليّة والنفسية والصّوتية للغة. . الذي يسهم بدوره في شحن الدّفقة الشعرية"[٦٠].

وهذا ما يكشف عن براعة الكاتب في توظيف الأسلوبيّة خدمة للدلالة؛ فتصوير حالة الزّهراء(سلام الله عليها)، وهي تتمتم بمُناجاة تطوف تارة، تصعد وتهبط من قلبها إلى لسانها، جاء على سبيل الاستعارة التّشخيصيّة التي صوّرت حالة خوفها على الأمة الإسلاميّة وصعوبة اللّحظة التي تعيشها، فضلًا عن توظيف التّشبيه الذي دلّ على تأزم حالة الزّهراء(سلام الله عليها)، في قوله: " مُناجاتها تطوف. . كأنّها. . الشّوق المحرور"، فلفظ " المحرور"، يحمل دلالة الإصابة والتّلظي والشّوق الكبير.

وهذا كلّه يصبّ في دلالة تجسيد الحالة النّفسية للسيدة فاطمة(سلام الله عليها)، وهي تحوم حول فراش احتضن جسد النبي، وقد فاضت منه روحه الشّريفة.

في المقابل، تجلّى مدلول " العزّة" على سبيل الإيحاء المعنوي أوّلًا، والانزياح الأسلوبي ثانيًا.

يصف الكاتب، مدى عطف النّبي على ابنته الزهراء في حياته، إذ كان يعدّها بضعةً منه، وهذه الرعاية التي احتوت فاطمة وهي في كنفه وحضنه، منحتها عزةً وشموخًا، والتّعبير الذي ساقاه الكاتب على لسانها، وكأنّها تُخاطب أباها: **"أطعمتني من قلبك وسقيتني من عينيك"**، يشير انزياحًا إلى حالة الأمان التي كانت تشعر بها السيدة فاطمة(سلام الله عليها) وهي لا تزال طفلة مدلّلة بين يدي والدها؛ وما الإطعام من القلب، والسقي من العينين إلا إشارة إيحائيّة إلى مدى حرص النّبي على منح ابنته أغلى ما يملك؛ إذ إنّ " القلب" و " العينين" رمزان يُحيلان إلى القدسيّة، ومنحهما إلى الآخر يحمل دلالة العشق اللّامحدود، في ظل إحساس بالحبّ وتداخل معاني العلاقة القوية والمتينة.

وهذا، ما يجسد **البينة الكلّية**، وهي: شعور السيدة الزّهراء(سلام الله عليها) بفقد الحب والأمان بعد رحيل والدهاﷺ.

الخاتمة

في خاتمة دراستنا، يمكن عرض ما استخلص من تلك القراءات للثنائيات المعنوية المتضادة المتعلقة بسيرة السيدة الزهراء عليها السلام، ومنها:

١-أثبتت هذه الدراسة، اهتمام الكاتب بإصباغ سيرته بصبغة فنية إيحائية ومعنوية، أضاءت بمضمونها على حياة السيدة فاطمة (سلام الله عليها) بلغة شعريّة عصريّة.

٢-وظف كتّاني آلية (الحضور/ الغياب)، إذ يتجلّى الطّرف الأوّل لثنائية مُعينة، في حين يغيب الطّرف الآخر، وهذا ما يثير لدى القارئ آليّة التأويل، ويحفّزه بغية استقراء الكلام، وقراءة ما وراء الكلام، بغية القبض على الدّلالة التي اختبأت خلف المنطوق، وذلك في محاولة البحث عن الطّرف الثاني الغائب والمُقنّع.

٣- أضاءت الثنائيات المعنويّة نصوص الكاتب، ومنحتها الحركة والحيوية، على امتداد الكتاب، محافظة على الترابط المتين بين اللفظ والمعنى معًا، ما حقّق توافقا دلاليًا وتركيبيًا، وهذا ما يتلاءم مع حياة السيدة الزهراء(سلام الله عليها) التي اتّسمت بالازدواجية، والتناقض، فضلًا عن كشفه البينة الدلالية الكلية، وهي: شعور السيدة الزّهراء(سلام الله عليها) بالفقد والاغتراب المعنويّين بعد رحيل والدها النبيّ محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله.

٤-جاءت الدّراسة لتضيء سيرة السيدة فاطمة(سلام الله عليها)، وما عايشته من ظروف حياتية ومعنوية متناقضة، وقد جسدت الثنائيات التضادية المعالجة الشّأن الرفيع، والمقام العالي اللذين تبوّأتهما الزهراء(سلام الله عليها) بالتّرفع عن الخوف والاستكانة، وترسيخها قيم العلوّ والعزة والشموخ.

٥-أكّدت الدراسة أنّ تناول التضاد لا يقتصر على الفن الشعري فحسب، إنّما

يتجلى التضاد في الألفاظ والمعاني في نطاق النصوص النثرية، وهو استجابة حتمية للمتضادات التي تحفل بحياة البشرية والإنسانية، وما إعادة صياغتها إلا تأكيد لازدواجية الوجود بما يحمل من أفكار فلسفيّة وجودية، ومنها: الموت والحياة، وما يُعبَّر عنه من معانٍ معنويّة، هي لصيقة تجارب الإنسان وظروف بيئته، ومنها: الخوف الأمن، الذّلة والعزة. .

٦-جاءت الثنائيات التضادية في كتاب سليمان كتاني، على سبيل حقيقة الواقع، وقد صوّرت تصويرًا حقيقيًا وواقعيًا ملموسًا، سيرة الزهراء(سلام الله عليها) والمحطات المهمة في حياة أسرتها عموما، بدءا بسيرة والدها النبي المصطفى ﷺ، وزوجها، وأولادها. . . وكانت صدى صادقا لذات السيدة فاطمة(سلام الله عليها)، مُعبرة عن تجربتها وحالتها النفسية وهي تختبر أصعب الظروف، ومنها خسارة النبي ووفاته، ونكث وصيته، وإيذاء زوجها، والاستيلاء على ميراثها. . .

٧-اعتمد الكتاني على جمالية الأسلوبية، خدمة للدلالة، فكانت الصّور البيانية، والمحسّنات، والانزياحات التّركيبية والإيقاعيّة وغيرها. . فضلا عن الحذف والإضمار، والتقديم والتأخير. . وهذا ما يكشف تمكّن الكاتب من ناصية القول، وامتلاكه صنعة الكتابة والتأليف.

٨-عبّر الكتاب، عن مدى سعة ثقافة الكاتب، في تجسيد سيرة السيدة الزهراء(سلام الله عليها) وهي البؤرة المركزية من سلالة آل البيت ﷺ، وهو مسيحي عاشق للولاية، وقد عبّر عن هذا العشق، بآليات اشتغاله في عرض حياة السيدة فاطمة(سلام الله عليها) ؛ وقد جاءت هذا الثنائيات مُعبرّة عن ذاته العاشقة للعدالة الإنسانية وقيم الحق التي جسّدها الوجود المحمديّ.

٩-جاء الكتاب صدى صادقًا لمحبّ اختبر محبّة أهل البيت (عليهم السلام)، منظورًا ومرئيًا إلى قيمهم ومكانتهم وقدسيّتهم بعين المظلومية، والوعي برسالتهم الإلهية، للتحوّل إلى هويّة جمعيّة، تُجسد الحب الإلهي للإنسانية جمعاء، لا تخصّ قومًا مُعيّنًا أو طائفة مُعيّنة، بل تحوّلت إلى أيقونة تشعّ محبّة في قلوب المُسلمين والمسيحيّين.

هوامش البحث:

١) سليمان كتاني، فاطمة الزهراء- وتر في غمد، تح: الشيخ محمد الساعدي، المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، ط١، ١٤٢٩ه.

٢) السّيد موسى الصّدر (من مواليد ١٩٢٨م): يُعدّ من علماء الشيعة في لبنان، وهو وجه ديني وثقافي وفكري، احتلّ مكانة مرموقة لما حمله من فكر تنويري وانفتاح داخلي وخارجيّ. . له العديد من الإنجازات على الصعيد الوطني، ومنها: تأسيسه المجلس الشيعي الأعلى (1966م)، وحزب لبناني: حركة المحرومين عام ١٩٧٤م، فضلا عن أفواج المقاومة اللبنانية أمل (١٩٧٥م)، التي وقفت في وجه الاجتياح الإسرائيلي للبنان إلى جانب الأحزاب اللبنانية الأخرى آنذاك. اختطف في ليبيا يوم تلبيته دعوة رسمية من السلطات الليبية برئاسة القذافي في ٣١ آب عام ١٩٧٨م عقب الاجتياح الإسرائيلي لجنوب لبنان، ومنذ ذلك الوقت لا يزال مصيره مجهولا، وتعد قضية تغييب السيد موسى الصدر من أبرز القضايا التي يسعى لبنان إلى كشف حقيقتها. ينظر: مركز الإمام موسى الصدر للبحوث والدراسات باللغتين العربية والفارسية.

٣) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، مقدمة محقّق الكتاب: الشيخ محمد الساعدي، مرجع سابق، ص ١١.

٤) مرجع سابق نفسه، تقديم: سماحة العلامة اللبناني المغيب السيد موسى الصدر، ص ٣٤.

٥) مرجع سابق نفسه، المقدمة، ص ٢٧.

٦) من مواليد لبنان بسكتنا (١٩١٢م- ٢٠٠٤م)، مسيحي الدّيانة، إنساني العقيدة والأخلاق، حاز شهادة الفلسفة من معهد الحكمة في بيروت سنة ١٩٢٢م. عمل مُدرّسًا لمادتي اللغة العربية وآدابها قرابة العشرين عامًا.

برع في مجال التّأليف والكتابة، وقد ألّفَ(اثنين وعشرين مؤلَّفا)، في حقول الأدب والتّاريخ والسير، وقد اختصّ أهل البيت ﷺبسلسلة دُرر، إذ لاقت إستحسان القرّاء لجودتها وفنيّتها، ما جعله يحصل على عدّة جوائز في لبنان والعراق وإيران.

من مؤلّفاته: " يسوع. . أبد الإنسان" و " جبران خليل جبران في مداره الواسع"، و " الإمام جعفر. . ضمير المعادلات"، و " الإمام علي. . نبراس ومتراس"، وقد أحرز هذا الكتاب الجائزة الأولى في مسابقة الكتابة بحقّ الإمام علي ﷺ، في النّجف الأشرف (١٩٦٥م)، و" الإمام الباقر. . نجي الرسول". . و" الإمام الكاظم. . ضوء مقهور الشّعاع".

ومن شهادة السّيد موسى الصّدر، في مقدّمة كتاب " محمّد. . شاطئ وسحاب"، قوله: " عزيزي الأديب الكبير سليمان كتّاني المحترم: عرفتك بين قاصدي القمم الشّاهقة سبّاقًا، وإلى صيد النّسور توّاقًا. . . عشْتَ حياة العباقرة الإلهيّين في عروج طويل، ثمّ مددت خيوط مدادك المغموس

بالطّيب، من هناك، مددتها إلى بني قومك، تجتذبهم إلى سماء البطولات، إلى آفاق النّور حيث لا تفاهات ولا صغائر".

٧) فاطمة الزّهراء- وتر في غمد، ص ٦١.

٨) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، مادة ثنى.

٩) ينظر: أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج١، مادة ثنى.

١٠) ليلى عطية الخفاجي، ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام من منظور نقدي فني، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٥م، ص ٢.

١١)سمر الديوث، مصطلح الثنائية الضدية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مجلة عالم الفكر، العدد ١، مج ٤١، يونيو – سبتمبر ٢٠١٢م، ص٩٩.

١٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة ضدد.

١٣) القرآن الكريم، سورة مريم، الآية: ٨٢.

١٤) ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ٢/ ٥.

١٥) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ١/ ٣٧٨.

١٦) ينظر: نضال أحمد الزبيدي، الثنائيات المتضادة في شعر المخضرمين، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٠٨م، ص ٣.

١٧) القرآن الكريم، سورة النجم، الآية: ٤٣ و ٤٤.

١٨) القرآن الكريم، سورة القرة، الآية: ٢١٦.

١٩) ينظر: إبراهيم أنس، في اللهجات العربية، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة أبناء وهبة حسان، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٩٥ و ١٩٦.

٢٠) كمال أبو ديب، في الشّعرية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، ١٩٨٧م، ص ٤٥.

٢١) ينظر: عاصم محمد أمين بني عامر، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، دار صفاء للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٥٠.

٢٢) سعيد حميد كاظم، انعطاف المعاني ورسوخ الأثر، قراءات في شعرية الجيل التسعيني في العراق، دمشق: دار تموز ديموزي، ط١، ٢٠٢٠م، ص ٢٣.

٢٣) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة عنو.

٢٤) رشدي طلال لطيف، الثنائيات المتاضدة في شعر حمد الدوخي، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، كلية الآداب، ٢٠١٩م، ص ٣١.

٢٥) الثنائية الضدية في شعر الحطيئة، صلاح أحمد صالح، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم

التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٤٢، ٢٠١٩م، ص٧٦١.
٢٦) القرآن الكريم، سورة الملك، الآية ٢.
٢٧) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، ص ٦٣ و ٦٤.
٢٨) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، ص ١٤١.
٢٩) روز غريب، تمهيد في النقد الحديث، بيروت: دار المكشوف، ط١، ١٩٧١م، ص ٢٣٣.
٣٠) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، ص ٢٢٧.
٣١) سعيد حميد كاظم، تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التنظير والإجراء (دراسة في الجيل التسعيني)، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٥٢.
٣٢) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ١٠/ ١٣٥. مادة عزز.
٣٣) مرجع سابق نفسه.
٣٤) مرجع سابق نفسه.
٣٥) القرآن الكريم، سورة ص، الآية ٨٢.
٣٦) يُنظر: لسان العرب: ابن منظور، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤ه، ١١/ ٢٥٧. مادة ذلل.
٣٧) مرجع سابق نفسه.
٣٨) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية ١٢٣.
٣٩) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ٢٤.
٤٠) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٢ه، ص ٥٦٣.
٤١) أبو البقاء الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٩٩٨م، ص ٤٦٢.
٤٢) أدونيس، زمن الشعر، بيروت: دار الساقي، ط ٧، ٢٠١٢م، ص ٣١٢.
٤٣) فاطمة الزهراء – وتر في غمد، ص ١٥٠.
٤٤) عهود عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي، الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية، جامعة بغداد، كلية التربية، مجلة العميد، السنة التاسعة، المجلد التاسع، العدد ٣٣، رجب آذار ٢٠٢٠م، ص ٢٧.
٤٥) القرآن الكريم، سورة الحج، الآية ٣١.
٤٦) القرآن الكريم، سورة الملك، الآية ١١.
٤٧) تغريد عبد الأمير الخفاجي، تقنيات خطاب الضد في كلمة السيدة الزهراء عليها السلام

لنساء المدينة، كلية العلوم الإسلامية، مجلة الباحث، العدد ٣١، ٢٠١٩م، ص ٤٨١ و ٤٨٢.

٤٨) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، ص ١٦٨.

٤٩) شفيق جرادي، الشّعائر الحسينية من المظلومية إلى النهوض، بيروت: دار المعارف الحكمية، ط١، ٢٠١٧م، ص ١١.

٥٠) خطبة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، المشهورة بالخطبة الفدكية، ص ٧.

٥١) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، ص ٨٥.

٥٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة أمن.

٥٣) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٥٥.

٥٤) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، ص ٨٥.

٥٥) إبراهيم الأميني، فاطمة الزهراء، المرأة النموذجية في الإسلام، تر: علي جمال الحسيني، إيران: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ص ٣٢ و٣٣.

٥٦) فاطمة الزهراء- وتر في غمد، ص ١٤٠.

٥٧) يمنى العيد، في القول الشعري، الشعرية والمرجعية الحداثة والقناع، بيروت: دار الفارابي، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٧٣.

٥٨) عبد المجيد زراقط، في السرد العربي. . . شعرية وقضايا، بيروت: دار الأمير، ط١، ٢٠١٩م، ص١٣.

٥٩) سعيد حميد كاظم، انعطاف المعاني ورسوخ الأثر- قراءات في شعرية الجيل التسعيني في العراق، مرجع سابق، ص١٢.

٦٠) حسن جعفر نور الدين، البنية الأسلوبية في ديوان " في فلسطين لا تنام السماء"، لبنان: دار البنان، ط١، ٢٠١٦م، ص ١٠.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر

١-القرآن الكريم.

٢-ابن منظور، ١٤١٤هـ. لسان العرب: بيروت: دار صادر، ط٣،

٣-كتاني، سليمان محمّد. ١٤٢٨هـ. شاطئ وسحاب: بيروت: دار الهادي. ط٢.

٤-كتاني، سليمان. ١٤٢٩هـ. وتر في غمد: تح: الشيخ محمد الساعدي. المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت. ط١.

المراجع

١-القيرواني، ابن رشيق. ١٩٥٥م. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. د. ط. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

٢-الكفوي، أبو البقاء. ١٩٩٨م. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: بيروت. مؤسسة الرسالة. ط٢.

٣-أبو ديب، كمال. ١٩٨٧م. في الشّعرية. ط١. مؤسسة الأبحاث العربية.

٤-أدونيس. ٢٠١٢م. زمن الشعر: بيروت. ط ٧. دار الساقي،

٥-الأصفهاني، الراغب. ١٤١٢هـ. المفردات في غريب القرآن. ط١. دمشق: دار القلم.

٦-الأميني، إبراهيم. فاطمة الزهراء. المرأة النموذجية في الإسلام: تر: علي جمال الحسيني. إيران: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر.

٧-أنس، إبراهيم. ٢٠٠٣م. في اللهجات العربية: مصر. ط١. مكتبة الأنجلو المصرية. مطبعة أبناء وهبة حسان.

٨-بن فارس، أحمد. ١٣٩٩ هـ. معجم مقاييس اللغة: تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر.

٩-جرادي، شفيق. ٢٠١٧م. الشّعائر الحسينية من المظلومية إلى النهوض. ط١. بيروت: دار المعارف الحكمية.

١٠-جعفر نور الدين، حسن. ٢٠١٦م. البنية الأسلوبية في ديوان " في فلسطين لا تنام السماء": ط١. لبنان: دار البنان.

١١-حميد كاظم، سعيد. ٢٠٢٠م. انعطاف المعاني ورسوخ الأثر. قراءات في شعرية الجيل التسعيني في العراق. ط١. دمشق: دار تموز ديموزي.

١٢-حميد كاظم، سعيد. ٢٠١٣م. تجييل الكتابة الشعرية في العراق بين التظير والإجراء (دراسة في الجيل التسعيني). ط١. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

١٣-زراقط، عبد المجيد. ٢٠١٩م. في السرد العربي. . شعرية وقضايا. ط١. بيروت: دار الأمير.

١٤-السيوطي، ١٩٩٨م. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: تح: فؤاد علي منصور. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.

١٥-العيد، يمنى. ٢٠٠٨م. في القول الشعري. الشعرية والمرجعية الحداثة والقناع. ط١. بيروت: دار الفارابي.

١٦-غريب، روز. ١٩٧١م. تمهيد في النقد

الحديث. ط١. بيروت: دار المكشوف.
١٧-محمد أمين بني عامر، عاصم. ٢٠٠٥م. لغة التضاد في شعر أمل دنقل. ط١. دار صفاء للطباعة والنشر.

المجلات والدوريات

١. الخفاجي، تغريد عبد الأمير. ٢٠١٩م. تقنيات خطاب الضد في كلمة السيدة الزهراء عليها السلام لنساء المدينة، كلية العلوم الإسلامية: مجلة الباحث. العدد ٣١.
٢. الديوب، سمر. يونيو – سبتمبر ٢٠١٢م. مصطلح الثنائية الضدية: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. مجلة عالم الفكر. العدد ١. مج ٤١.
٣. صالح، أحمد صلاح. ٢٠١٩م. الثنائية الضدية في شعر الحطيئة: مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية. جامعة بابل. العدد ٤٢.
٤. عبد الواحد عبد الصاحب العكيلي، عهود. رجب آذار ٢٠٢٠م. الاستدلال الإقناعي بالشاهد في الخطبة الفدكية: جامعة بغداد. كلية التربية. مجلة العميد. السنة التاسعة. المجلد التاسع. العدد ٣٣.

رسائل وأطاريح

١. الخفاجي، ليلى عطية. ٢٠٠٥م. ثنائية اللذة والألم في الشعر العربي قبل الإسلام من منظور نقدي فني: أطروحة دكتوراه. جامعة بغداد. كلية الآداب.
٢. الزبيدي، نضال أحمد. ٢٠٠٨م. الثنائيات المتضادة في شعر المخضرمين: أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد. كلية الآداب.
٣. لطيف، رشدي طلال. ٢٠١٩م. الثنائيات المتاضدة في شعر حمد الدوخي: رسالة ماجستير. جامعة تكريت. كلية الآداب.

مواقع إلكترونية

مركز الإمام موسى الصّدر للبحوث والدراسات باللغتين العربية والفارسية.